

المحاضرة رقم 08: غادة أم القرى أحمد رضا حوحو

قراءة في رواية "غادة أم القرى":

ذهب أكثر من ناقد إلى أن الرواية تعالج موضوعا يخص معاناة المرأة الشرقية وحرمانها من الحب الذي تختاره، من ذلك ما أورده أحمد منور في تقديم الرواية " إن القصة تعالج بشكل جديد وجريء، موضوعا اجتماعيا في غاية الدقة والحساسية ألا وهو موضوع المرأة ووضعها الاجتماعي المتردي"¹ ثم يضيف: " إن مأساة زكية أو غادة أم القرى تعدُّ صرخة شجاعة أتت في أوانها من كاتب يحمل ضميرا حيا، فؤادا طربا في وجه مجتمع متحجر الأفكار والعواطف يعتبر الحب جريمة، وهي إدانة صريحة و قوية لتقاليد جامدة كانت تستعبد المرأة و تحرمها من أبسط حقوقها حتى مجرد التصرف في قلبها و اختيار شريكها في الحياة"² ونحن نجد أن في هذا مبالغة فزكية لا تستحق كل هذا العطف من الناقد و الراوي، فهي كأي فتاة أحبَّت شخصا ما ولم يكن من نصيبها ثم إن إدانة الناقد للمجتمع الذي تعيش معه ووصفه بالمتحجر الأفكار و العواطف مبالغ فيه فعائلة زكية بريئة من هذا الوصف فهم لم يجبروها على الزواج من شخص معين، وبالنسبة للشخص الذي أحبَّته و حُرمت منه لم يكن للمجتمع ولا لأسرتها دخل في ذلك فهو الذي اختار أن تكون أختها أسماء زوجة له .

وإذا كانت هناك إدانة تستحقها هاته العائلة فهي تخص حرمان الأختين أسماء و زكية من التَّعليم و قد أشار الرَّاوي إلى ذلك؛ "اعتمدت والدتهما بتربيتهما تربية دينية قوية لكنَّها شديدة الغلو فاكتفت بتلقيهما الخياطة و التطريز و أما القراءة و الكتابة فلا تزالان سرًّا غامضا بالنسبة إليهما"³

من المضامين أيضا أشار الرَّاوي إلى سلبية هذا المجتمع الشرقي و ماديته من خلال طغيان و جور الطبقة البرجوازية و قد تجسَّد ذلك في انتقام السيد "أسعد" من هذه العائلة البسيطة التي رفضت طلبه.

¹ أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1983، ص 10.

² المصدر نفسه ص 12.

³ أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى ، ص 31.

المضمون الديني في رواية "غادة أم القرى":

تجسّد المضمون الديني في الرواية من خلال البيئة المحافظة التي تعيش في وسطها " زكية " وقد جسّد الرّاوي مدى تشبث الأسر الشرقية بالقيم الدينيّة المحافظة ومن ذلك عدم الاختلاط بالرجال والتشدد في ذلك.

من القيم الدينية أيضا وجدنا الرّاوي يهتم بوصف الرّوحانيات التي تتمكّل العبد المؤمن الصّالح، من ذلك يصف تأثير الأذان الشاجي على روح البطلة زكية فيقول: " وفي تلك اللّحظة ارتفعت أصوات المؤذن فأخذت تجوب الفضاء بأنفاسها الشجية منطلقة من منابر الحرم السبع. الله أكبر... الله أكبر. واهتزت الفتاة هزّة خفيفةً وعلت محيّاها الفاتن مسحة من الخشوع.. خشوع المؤمن القويّ الإيمان، حينما يتصوّر عظمة ربّه وجلاله، ثم توجهت نحو الكعبة وثبتت جامدة في خشوعها كأنّها تمثال، وغدت شفتها تتحرّكان بسرعة مرددة صلوات عديدة تتخلّلها زفرات مقتضبة ما بين آن وآخر حتى إذا ما انتهى الأذان أسرع إلى مصلاها وتوجهت إلى ربّها تبثّه شكواها، وترجوه تحقيق أمالها.¹

ومن الرّوحانيات وجدنا دعاء جميل المبتلى الذي لم يجد نصيرا له غير الله، فراح يشكوه طالبا الفرج: " اللهم تعلم إني بريء... وإن كان قضاؤك قد نزل فإني لا أسألك ردّه وإنما اللّطف فيه فاقبض روعي إليك يا إلهي فإني لا أقوى على هذه القصيصة.² وتضاف إليها دعوات والدته التي لم تطق الظلم الذي بُهتَ به ابنها قاصدةً الحرم المكي، ويبدع الرّاوي في وصف خنوع وخضوع هذه الأمّ فيقول: " وألصقت صدرها الهزيل بجدار البيت وتوجهت إلى ربّها بعينين محمّرتين وقلب محطّم كسير، وهتفت تدعوه بلسان متلعثم : إنه لم يبق لي أحد سواك... يا الله... في هذه الدّنيا إنك أعلم العالمين بمحبتني يا إلهي وانعقد لسانها فلم تستطع أن تتفوّه بكلمة وإنما غدت دموعها تعبّر عنها في سكون، وأخذت تنحدر كالمطر... وما لبث الرّحام أنّ تكاثر فاضطّرت إلى الخروج وهي تود لو بقيت مدى حياتها في هذه البقعة

¹ أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، ص 25.

² أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، ص 48.

التي وجدت فيها الاطمئنان و الرّاحة و السّلوّى.¹ فأَمّ جميل نموذج للمرأة الصالحة الخاضعة المؤمنة بقضاء الله وقدره والطامعة في عفوه ورحمته.

أشار الرّاوي إلى الضّعف والتقصير الدّيني لدى بعض الأسر على الرّغم من تحفّظها حيث تلجأ إلى ما يسمى بالعرّافين والدّجالين في حال العوز الصحي، وقد وظّفه الرّاوي من خلال وصف حالة زكية التي ضاقت من كثرة العقاقير فيقول: "وأصبحت لا تشتكي من شيء بقدر ما تشتكي من هذه العقاقير والتعاويد والبخور...، فمنذ أصيبت زكية أصبحت دار سليمان خليل ميدانا واسعا للدّجالين والسّحرة فمن قائل أنها مسّحورة، ومن مؤكّد أنّ ما بها من جن ولم تجد التّمائم العديدة ولا الدّبائح الكثيرة لولائم الجن وملوكهم."²، وكلّها أقاويل وأفعال باطلة، فالفتاة تعاني صدمة نفسية وليس بها أيّ مسّ جنّي.

المحاضرة رقم: 10 الشهداء يعودون هذا الأسبوع _ الطاهر وطار

مجموعة "الشهداء يعودون هذا الأسبوع" للقاص الطاهر وطار عبارة عن مجموعة قصصية متكونة من القصص الآتية:

-الشهداء يعودون هذا الأسبوع

- رقصات الأسي

-الزنجية والضابط

-الحوت لا يأكل

-اشتراكي حتى الموت

-زوجة الشاعر

تحكي قصة "الشهداء يعودون هذا الأسبوع" تهميش أبطال الثورة في الاستقلال، وعلو شأن الخونة باعة الوطن، وقد عرض الكاتب ذلك من خلال إشاعة خبر عودة الشهداء من طرف والد أحدهم، لكنّه صُدِمَ بعدم رغبة الشعب في عودتهم، ويُجمل الكاتب الحديث عن وضع البلاد المزري وتحكيم الخونة وتخليّ الشعب عن المبادئ السامية التي قامت من أجلها الثورة من خلال خطاب والد الشهيد لأحد مجاهدي الثورة الحقيقيين: "أنت الوحيد الذي

¹المصدر نفسه، ص53.

²المصدر نفسه، ص49.

أثق فيه في هذه القرية، ماضيك أصفى من الحليب، مجاهد بسلاحه، من الأول، إلى الآخر. أعتز بحاضرك، لم تطلق أمَّ أبنائك لتتزوَّج بابنة غني، أو خائن. ولم ترض بيع ضميرك بخمارة، ولم تطلب قرضاً على حساب إخوانك، حارس في ضيعة التسيير الدَّاتي من يوم تكوينها إلى الآن. لم تشهد شهادة الزُّور مع أي خائن، لينال بطاقة النُّضال، رغم الإغراءات الكبيرة. إنَّك ملاك قريتنا يا بني.¹ والكاتب لم يكتفِ بعرض هذا القدر من السوء الذي آلت إليه البلاد، وواصل في ذلك من خلال إحدى إجابات هذا المجاهد النَّزيه على تساؤلات "العمَّ عابد"، راداً عليه باستفهامات محمَّلة بالحسرة: "لا تخرجني يا عمِّي العابد، إنَّك عشت الحقيقة من أول الثورة حتى اليوم. أين التضحية؟ أين الإخلاص؟ أين الحماس؟ أين الأخوة؟ أين تجنَّد الجميع من أجل الصَّالح العام؟ كل شيء بالبطاقة اليوم يا عمِّي العابد؟ الماضي الثُّوري لا بدَّ من بطاقة تشهد عليه. النُّضال لا بدَّ من بطاقة تثبته. حسن السيرة لا بد له من بطاقة... الخيانة فقط لم توضع لها بطاقة، نعرفُ كلُّنا الخائن ولكن لا نستطيع أن نواجهه، لأنَّ البطاقة هي الصَّح.. حيثما شاء الحي وُجِّهَ رأسُ الميت يا عمِّي العابد."² من خلال هذه الحوارات نقل لنا الكاتب حقيقة واقعة آلت إليها الجزائر وهي ضياع الحقوق من أصحابها على الرِّغم من مشروعيتها. وقد وُفِّقَ في عرض هذا الواقع السياسي المرَّ وأكثر ما جذبنا نحوه هو الجرأة والحريَّة في الطرح.

¹ الطاهر وطار، الشهداء يعودون هذا الأسبوع، موفوم للنشر، الجزائر، دط، 2004 ص128.

² المصدر نفسه، ص130.